أنماط المآذن بالجزائر خلال العهد العثماني

الدكتورة بن بلة خيرة
معهد الآثار- جامعة الجزائر 2

- مقدمة.

أولا : المئذنة في العمارة الإسلامية : تعريفات ومفاهيم.

1. تعريف المئذنة لغة واصطلاحا.
2. تطور المئذنة.
3. أقسام المئذنة.

ثانيا : دراسة وصفية لنماذج من أنماط المآذن بالجزائر خلال العهد العثماني.

1. نماذج من المآذن المربعة.
2. نماذج من المآذن المثمنة.
3. نماذج من المآذن الرمحية أو المخروطية الرأس.

- خاتمة.

يعتقد بعض الدارسين أن المئذنة المربعة هي التي غلب استعمالها بالجزائر خلال العهد العثماني، لكن من خلال دراسة مجموعة من المباني الدينية من مساجد جامعة ومدارس وأضرحة موزعة على أهم مدن الجزائر، اتضح أن الأنماط التي استعملت

خلال هذا العصر كانت ثلاثة وهي : المئذنة المربعة والمئذنة المضلعة والمئذنة الأسطوانية المخروطية الرأس أو ما يعرف بالرمحية.

وقبل أن نعرض هذه الأنماط لمآذن العمائر الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني لا بد من إطلالة على معان ومفاهيم تتعلق بالمئذنة وأقسامها عموما والإشارة إلى عملية تطورها عبر العصور وصولا إلى العهد العثماني.

أولا : المئذنة في العمارة الإسلامية : تعريفات ومفاهيم.

1. تعريف المئذنة لغة واصطلاحا

إن لفظ المئذنة هو مشتق من الأذان للصلاة، وتعني المكان الذي ينطلق منه صوت المؤذن أي المنادي للصلاة[1]. ويتبين من كلمة "أذن" أنها تعني الإعلام السمعي أي الإبلاغ عن طريق الأذن[2] أما كلمة صومعة التي ارتبطت بهذا العنصر المعماري عبر العصور وخاصة في بلاد المغرب فهي مشتقة من الفعل صومع، وصومع البناء تعني أقام البناء عاليا[3].

2. تطور المئذنة

ولم تعرف العمارة في بداية الإسلام أية مئذنة، فقد كان الرسول – صلى الله عليه وسلم يدعو بلالا للنداء للصلاة من فوق إحدى البيوت المجاورة، أو أمام مسجده ولذلك كان بلال أول مؤذن في الإسلام[4] وقال ابن زبالة : حدثني محمد بن إسماعيل وغيره قال :

كان في دار عبد الله بن عمر أسطوانة في قبلة المسجد يؤذن عليها بلال يرقى إليها بأقتاب والأسطوانة مربعة. .. وقال آخرون إن الأسطوانة كانت في قبلة المسجد يؤذن عليها وهي مربعة..... وقيل أيضا إن بلالا كان يؤذن في دار حفصة بنت عمر التي تلي المسجد[5].

ومن هذا يمكن أن نتصور أن الأذان قد بدأ فوق بيت مرتفع بجوار المسجد، وكان به أسطوانة مربعة في قبلة المسجد، استطاع أن يعتليها بلال ليؤذن من فوقها، فكانت أول مئذنة في الإسلام[6].

وجاء في كتاب السيرة لابن اسحق أن عمر بن عبد العزيز جعل لمسجد الرسول - صلى الله عليه وسلم - حين بناه، أربع منارات في كل زاوية منارة، كما يحدد ابن زبالة ذرع المنارات فيقول :

"ولمسجد الرسول ثلاث منارات طول كل منارة ستون ذراعا تقريبا وعرض المنارات (أي حجم القاعدة) ثمان أذرع في ثمان أذرع."[7]

كما جاء في كتاب فتوح البلدان للمؤرخ البلاذري المتوفى سنة 245 هـ/859م عن مئذنة جامع البصرة، وهو يعد أقدم ما ذكر عن مآذن المساجد، إذ روى أن زياد بن أبيه والي العراق من قبل معاوية بن أبي سفيان قد بنى منارة بالحجر لجامع البصرة في سنة 45 هـ /665م، وذلك عندما هدم الجامع الأول وأراد بنائه من جديد، غير أن هذا الخبر قد أحيط بهالة من الشك على أساس أن البلاذري هو المؤرخ الوحيد الذي روى هذا الخبر[8].

وهو يشير إلى أن جامع البصرة قد أقيم به منارة من الحجر قبل جامع الفسطاط بقليل أي سنة 45 هـ ويعتقد أن تلك المآذن كانت عبارة عن أبراج مربعة قليلة الارتفاع، بنيت من الآجر باعتباره المادة التي بنيت بها المساجد آنذاك، ويعتقد أن هذه الأبراج كانت أشبه بجواسق الحراسة التي كانت تقام على الأسطح في أركان البناء[9].

وتعتبر المآذن الأربعة التي بنيت في أركان جامع عمرو بن العاص بالفسطاط بمصر في عصر مسلمة بن مخلد عام 673 م والتي أمر ببنائها الخليفة معاوية هي أول المآذن في الإسلام، حيث كان معاوية يقوم بالصلاة في بعض الأحيان داخل المعبد الوثني الذي أصبح الجامع الأموي بدمشق فيما بعد، حيث كان به أربع صوامع في أركانه، ومن المحتمل أن يكون معاوية قد استعمل هذه الأبراج للدعوة إلى الصلاة[10]، والمؤكد أن المسلمين استعملوا هذه الأبراج لوظيفة الآذان، لأن العديد من المسلمين من سماها بالمآذن رغم أنها وجدت قبل ظهور الإسلام[11].

وأقدم المآذن الموجودة إلى الآن هي مئذنة جامع القيروان، ويعود تاريخها إلى عام 724م وهي مربعة الشكل متأثرة بجميع المآذن الأولى[12] واتخذت كأقدم مثل باق يتضح فيه تأثير الصوامع الأولى وينسب تجديد المئذنة إلى الوالي بشر بن صفوان فيما بين سنتي 105-109 هـ 724- 729م، على أساس الأدلة التاريخية أو إلى سنة 221 هـ 836م، على أساس الأدلة المعمارية، وهي في الحالة الأولى تعد أقدم

مثل باق للمآذن وفي الحالة الثانية تعد ثاني الأمثلة الباقية، إذ تسبقها منارة قصر الحير الشرقي في منطقة الشام التي تؤرخ في حوالي سنة 110 هـ/ 730م، والملاحظ أن مئذنة القيروان تتميز بخصائص فنية إسلامية واضحة تفند نظرية اقتباس المآذن من مصادر سابقة على الإسلام ويصبح من غير المنطقي أن تستمد مئذنة القيروان ومآذن الشام طرازها من أبراج الكنائس[13].

والراجح أن جميع مآذن العالم الإسلامي كله في العصر المبكر كانت تتبع تكوينا معماريا مشتركا ومشابها لمئذنة القيروان[14].

أما مئذنة جامع ابن طولون فقد بناها السلطان لاجين في أوائل عصر المماليك وتتكون من برج مرتفع يعلوه طابق مستدير ويصعد إلى هذين الطابقين عن طريق درج خارجي مكشوف يلف حولها ويعلو هذين الطابقين جزء مثمن تعلوه قبة مرتكزة على بعض الأعمدة الصغيرة وتشبه المبخرة، وقد ظهر هذا الطراز في المآذن الأيوبية، واستمر حتى بداية العصر المملوكي، أما المئذنة الأصلية بجامع ابن طولون فالغالب أنها مماثلة للملوية بالجامع الكبير بسامراء[15].

وفي عصر المماليك بدأ يظهر الطابق الأول بشكل مربع أو مثمن بارتفاع قليل حتى أصبح قاعدة قصيرة للمئذنة التي تتكون غالبا من طابق مثمن يعلوه طابق آخر مستدير أو مثمن، وبهذه الطوابق نجد الفتحات المعقودة والعقود الصماء والزخارف والكتابات، ويعلو تلك المآذن نهاية منتفخة بصلية الشكل ترتكز

على بعض الصفوف من المقرنصات المحمولة على بعض الأعمدة الصغيرة، وهو ما يسمى بالجوسق، ويفصل كل طابق عن الآخر شرفة بارزة محمولة على مقرنصات، ومن أجمل مآذن المماليك بمصر مئذنة مدرسة قايتباي[16].

أما في إيران فنجد أن المئذنة أخذت طابعا خاصا بها بعيدا عن المآذن المربعة فنجدها ذات قاعدة قليلة الارتفاع، مربعة أو مثمنة، يعلوها طابق واحد مرتفع اسطواني الشكل قطره من أعلى أصغر من السفلي، وتعلوه شرفة مستديرة محمولة على مقرنصات وتتوج المئذنة بقبة صغيرة وكانت تزين هذه المآذن بالعديد من الزخارف والتكسيات بالقاشاني[17].

وبعد أن كان معظم المآذن الأولى في إيران مثمن الشكل، أصبحت المآذن الاسطوانية هي السائدة وذلك منذ القرن الخامس الهجري، وتختلف المآذن الإيرانية عن سائر المآذن الشامية والمصرية والمغربية في أنها لا طبقات لها ولا نوافذ، فالمئذنة الإيرانية بناء شاهق مبني لذاته، ولم تكن تستخدم في الأذان بسبب ارتفاعها العظيم، وإنما كان المؤذن يدعو إلى الصلاة من فوق سطح المسجد[18].

أما في الهند فقد ظلت المساجد تشيد بغير مآذن مدة طويلة، ثم عم استعمال المآذن منذ القرن التاسع الهجري وتم تقليد الإيرانيين في ترتيبها مزدوجة، بحيث يكون للمسجد مئذنتان تحفان بمدخله

وكانت المآذن الهندية في معظم الأحيان اسطوانية تضيق كلما ارتفعت وتزينها شرفات وتضليعات[19].

وبالرغم من أن السلاجقة قد بلغوا في فنون النقش على الحجر شأوا لا مثيل له من الفخامة والترف إلا أنهم تركوا مآذنهم خالية من أي زخرف[20].

أما في العصر العثماني فقد أصبحت المئذنة نموذجا واحدا في جميع الأقاليم الإسلامية التي حكمها العثمانيون، وهي عبارة عن قاعدة قصيرة يرتكز عليها عمود اسطواني، تقطعها شرفة أو أكثر، وتنتهي المئذنة بمخروط مدبب بارتفاع ملموس[21] وزاد العثمانيون في ارتفاع المآذن عما عرفه السلاجقة وأصبحت المآذن عندهم اسطوانية وممشوقة، وزاد عدد المآذن في المساجد التركية بحسب أهميتها حتى بلغ ستا في جامع السلطان أحمد في استانبول[22]. أما المآذن فقد أصبحت في هذا العهد رشيقة القوام ممشوقة الطول فهي أسطوانة أو مضلعة كثيرة الأضلاع، رفيعة بالنسبة لمآذن العهود السابقة وتنتهي في أعلاها بقلنسوة مخروطية مصفحة بالرصاص.

3. أقسام المئذنة

وتتألف المئذنة عادة من الأقسام والتفاصيل التالية :

- القاعدة : القسم الذي يرتفع فوقه بدن المئذنة.
- الجذع أو البدن : جسم المئذنة الأساسي، وتختلف أشكال مقطعة بين المستدير والمربع والمضلع.

- الطبقة : أقسام الجذع المتوضعة فوق بعضها وقد تتعدد مقاطعها وارتفاعاتها.
- الشرفة أو المطاف : الموضع الذي يطوف فيه المؤذن أثناء الآذان.
- الدرابزين : السياج المحيط بالشرفة، وقد يكون من الخشب أو الحديد أو الحجر.
- المظلة أو ساترة المؤذن : الغطاء الواقي من الشمس والمطر فوق الشرفة.
- رأس لمئذنة : القسم الذي يعلو المظلة : وهو إما مستدير أو مضلع ويتألف من العناصر التالية :

- الجوسق : تسمية فارسية تعني القسم الذي يعلو المظلة ويحمل الذروة أو القلنسوة أو القبة ونحوها وقد يكون محمولا على أعمدة، فيعرف حينئذ باسم الجوسق المعومد.
- الصنوبرة أو الذروة الصنوبرية : ذروة مكورة تشبه شكل الصنوبرة، وتعرف أيضا باسم الكلة وتقوم فوق الجوسق كما تحمل التفاحات.
- القلنسوة المخروطية : الذروة على شكل مخروط مؤنف الرأس وهي بديلة عن الشكل الصنوبري.
- الخوذة أو القلنسوة نصف الكروية : قلنسوة على شكل خوذة الجندي.
- القبة : تتواجد أحيانا فوق الجوسق وتحمل الذروة الصنوبرية.

- التفاحات : الكرات المعدنية التي ترفع فوق الذروة والقلنسوة أو القبة وتحمل الهلال.
- الهلال : فوق الذروة وقد يكون كامل الاستدارة، أو مقطوع الدائرة.
- الحربة : عنصر زخرفي على شكل الحربة يستعمل بديلا عن التفاحات أو الهلال.
- النافذة : فتحة في الجذع كالنافذة وقد تكون زخرفية أحيانا.
- الكوة : فتحة صغيرة في الجذع يمر منها الضوء والهواء ولها أشكال متعددة.
- القمرية : فتحة وظيفية للضوء والهواء كاملة الاستدارة.

- العناصر الزخرفية :

- الأقواس : تعلو النوافذ والعمد والمحاريب وتأخذ أشكالا متعددة.
- النوافذ : صماء أو مفتوحة أو زخرفية.
- الشريفة : عنصر زخرفي على شكل شرفة صغيرة تتوضع في الجذع.
- الحشوة : على شكل غائر أو هيكل مفرغ مملوء بسطح أو بنقش بارز أو متراجع.
- الحنية : عنصر مقوس غائر كالمحراب.
- المحراب : حنية صغيرة متراجعة نحو الداخل يعلوها قوس أو هو نصف اسطوانة غائرة يعلوها ربع كرة.

- الشريط الزخرفي : نطاق من الزخارف يحيط بالجذع.
- الشريط الكتابي : نطاق من الكتابات المنقوشة وغالبا قرآنية النصوص.
- القرص الزخرفي : عنصر تزييني على شكل قرص بارز أو غائر أملس أو مزخرف قد يكون منفردا أو ضمن حشوة.
- المقرنصات : تتوضع غالبا في أسفل الشرفة وقد تتواجد أيضا في النوافذ والأقواس وفي مواضع أخرى من الجذع والجوسق[23].

وللإشارة فإن الهلال كان أول الرموز التي وضعت على قمة المئذنة لما لهذا الرمز من أهمية في الحياة الدينية لدى المسلمين، وزادت أهمية الهلال حتى أصبح رمز المسلمين وأصبح الهلال والمئذنة يخدمان للتعريف بالمجتمع الإسلامي عموما[24].

وقد يكون مدخل المئذنة من داخل الصحن أو بيت الصلاة، وهناك مآذن قليلة لها مدخلان وسلمان واحد من المسجد وآخر من خارجه[25].

ثانيا : دراسة وصفية لنماذج من أنماط المآذن بالجزائر خلال العهد العثماني.

إن الدراسة المتعلقة بمجموعة من العمائر الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني جاءت بنتيجة غاية في الأهمية وهي تتمثل في كون المئذنة المضلعة استعملت مثل المربعة إلا أنها كانت واسعة النطاق بمعنى أننا نجدها بمنشآت مدن الجزائر، ووهران وقسنطينة

ومعسكر، علما أن الدراسة شملت عمائر مدينة الجزائر متمثلة في الجامع الجديد وجامع صفر والجامع البراني وضريح سيدي عبد الرحمان، وعمائر مدينة قسنطينة متمثلة في جامع سيدي لخضر وجامع سيدي الكتاني وعمائر مدينة وهران المتمثلة في جامع الباشا ومدرسة خنق النطاح، أما عمائر مدينة معسكر فاقتصرت على الجامع الكبير وجامع عين البيضاء وكان جامع الباي هو النموذج المدروس بمدينة عنابة.

ويمكن تحديد الأنماط حسب استعمالها بالمدن كالتالي وهذا من خلال دراستنا لمجموعة المباني الدينية بالجزائر :

- في مدينة الجزائر استعمل النمطان : المئذنة المربعة والمئذنة المثمنة.
- في مدينة قسنطينة استعمل النمطان : المئذنة المثمنة والمئذنة الأسطوانية المخروطية الرأس.
- في مدينة وهران استعمل النمطان : المئذنة المثمنة والمئذنة المربعة.
- في مدينة معسكر استعمل النمطان : المئذنة المثمنة والمئذنة المربعة.
- أما في مدينة عنابة فقد استعمل نمط واحد وهو المئذنة الأسطوانية المخروطية الرأس.

1. <u>نماذج من المآذن المربعة</u> : هي تميل نوعا ما إلى الاستطالة، لكنها معروفة بالمربعة، واستعملت بالجامع الجديد، وضريح سيدي عبد الرحمان بمدينة الجزائر وبالجامع الكبير بمدينة معسكر وبمدرسة خنق النطاح بمدينة وهران (**شكل 1**).

- **مئذنة الجامع الجديد بمدينة الجزائر : (لوحة 1 / صورة 1)**

إن تسمية الجامع بهذا الاسم هي عبارة عن صفة له بالنسبة للجامع الأعظم، لأن مدينة الجزائر كان لها قبل تشييد الجامع الجديد مساجد أخرى حنفية بناها الأتراك[26]. وتم بناؤه في مكان مدرسة بوعنان وشارك في بنائه العسكر[27] على نفقة منظمة سبل الخيرات، وذلك في سنة 1070هـ/1660م[28].

- وصف المئذنة

تقع مئذنة الجامع الجديد في الركن الشمالي الشرقي، وهي من النوع المربع، على غرار المآذن المغربية، يبلغ ارتفاعها 30 مترا، وتنقسم إلى قسمين رئيسيين هما : بدن المئذنة ورأس المئذنة، ويكوّن القسم الأول أربعة أجزاء تتمثل فيما يلي :

- الجزء الأسفل الذي يضم باب المئذنة من فوق السطح : وهو جزء يتميز بخلوه من الزخارف، ويعلوه بروز يفصل بينه وبين الجزء الثاني.
- الجزء الذي يليه عبارة عن مستطيل به مستطيل غائر وزين هذا الأخير بمستطيل غائر آخر وأصغر حجما وحفر به شكل بيضاوي وزين ببلاطات خزفية، ويعلو هذا الجزء أيضا بروز آخر يفصل بينه وبين الجزء الذي يليه.
- جزء مستطيل أيضا حفر به مستطيل آخر وزين في وسطه بمستطيل صغير تشغله دائرة على هيئة الجفت الميمي وهي الدائرة التي تحوي الساعة التي ألحقت بمئذنة الجامع في وقت متأخر،

وزينت كل من الفراغات التي تحيط بالساعة والتي تحيط بالمستطيل الأوسط ببلاطات خزفية، ويفصل بين هذا الجزء والجزء التالي بروز آخر.

- الجزء الذي يحمل الشرفات وهو مكسو كله بالبلاطات الخزفية، أما الشرفات فعددها ستة عشرة شرافة ضلعية وأربعة ركنية وهي من النوع المسنن لكن الأسنان غير حادة بل من النوع المائل أو المتعرج، وبهذا الجزء ينتهي القسم الأول من المئذنة وهو البدن، ليأتي القسم الثاني وهو رأس المئذنة ويتكون من :
- الجوسق، ويتميز هذا الجوسق بكونه من أجمل ما خلفت العمارة التركية بالجزائر خاصة والعمارة الإسلامية عموما، فهو ذو مسقط مربع ويمكن اعتباره من النوع المعومد لكن تقوم عقوده على دعائم صغيرة، إذ يحتوي على عقدين في كل ضلع ويتوسط هذين العقدين دائرة، وزينت الأجزاء العلوية لمجموعة العقدين والدائرة بشريط من البلاطات الخزفية وهذا يتكرر في الواجهات الأربعة للجوسق ويتوج هذا الأخير اثنا عشرة شرفة ضلعية وأربعة ركنية من النوع الهرمي المدرج، ويعلو الجوسق قبيبة تتوجها ثلاث تفاحات معدنية.

■ **مئذنة ضريح سيدي عبد الرحمان بمدينة الجزائر : (لوحة 1 / صورة 2)**

هناك العديد من المؤلفين الذين اهتموا بتاريخ بناء ضريح سيدي عبد الرحمان وعلى رأسهم الأستاذ جورج مارسي الذي يقول في إحدى محاضراته : ". ... نحن نجهل الكثير عن قبر سيدي عبد

الرحمان الذي دفن فيه سنة 1470م، ونجهل إن كان قد بني هناك بناء بمجرد دفنه في هذا المكان، الذي نرجح أنه كان مقبرة في الأصل، والشيء الذي نحن واثقون منه هو أنه بسبب مكانته لدى سكان المدينة، قرر بناء ضريح على هذا المكان يتلاءم والذكرى التي تركها بين السكان، وكان ذلك في سنة 1020 هـ/1611م."[29]

والبناء الذي يضم قبر سيدي عبد الرحمان بني سنة 1108هـ / 1696م في عهد الداي الحاج أحمد العلج الأشجي، وهذا حسب كتابة أثرية تعلو باب مدخل الضريح[30].

- وصف المئذنة

تقع مئذنة ضريح سيدي عبد الرحمان بالزاوية الشمالية الشرقية، ارتفاعها 14.10مترا، ويبلغ عدد درجات سلمها 19 درجة، وهي ذات قاعدة مربعة، وتنقسم إلى بدن ورأس، يتكون البدن من ثلاثة أقسام، كل قسم مزين في أضلاعه الأربعة ببائكة من عقود تحملها عميدات صغيرة، ويعلو كل بائكة صفوف من البلاطات الخزفية ذات الزخارف والألوان المختلفة، وينتهي البدن بشرفات رمحية الشكل ثلاثة منها ضلعية وواحدة ركنية، ويلي البدن الجزء الثاني من المئذنة وهو رأس المئذنة الذي يتكون من جوسق مربع به فتحة معقودة، تعلوها صفوف من البلاطات الخزفية على غرار صفوف البدن، وينتهي هذا الجزء بقبيبة صغيرة.

- **مئذنة الجامع الكبير بمدينة معسكر : (لوحة 1 / صورة 3)**

بني الجامع الكبير بمعسكر في شهر شعبان من عام 1160هـ / 1747م، بأمر من الحاج عثمان باي ابن السيد ابراهيم وهذا حسب الكتابة الأثرية المثبتة ببيت الصلاة.

- **وصف المئذنة**

تقع مئذنة الجامع الكبير بمعسكر في الزاوية الشرقية، بقاعدة مربعة، ويبلغ ارتفاعها 23.10 مترا ويتكون سلمها من 56 درجة، وتتكون من بدن بقسمين، الأول محصور بين طنفين، وزينت كل واجهة بعقد كبير مفصص، أما القسم الثاني فهو يتكون من صفين بصنفين من العقود، الأول منها ثنائية من النوع المتجاوز، ويعلو كل زوج من هذه العقود مجموعة أخرى تتكون من ثلاثة عقود مفصصة وأصغر حجما، وينتهي البدن بجزء بسيط خال من الزخرفة، أما رأس المئذنة فهو يتكون من جوسق ثماني الأضلاع تعلوه قبيبة مضلعة تنتهي بهلال.

- **مئذنة مدرسة خنق النطاح بمدينة وهران : (لوحة 1 / صورة 4)**

أنشئت هذه المدرسة بحي يسمى خنق النطاح، وكانت قبل الفتح الثاني لمدينة وهران خارج حدود المدينة، وهي تسمى اليوم بجامع محمد الكبير، ولا يوجد ما يذكر تاريخ تأسيس المدرسة بالتحديد سوى أنها كانت موجودة أيام الباي محمد الكبير الذي كانت فترة حكمه ما بين 1779م و1799م.

وصف المئذنة

تقع مئذنة مدرسة خنق النطاح، بالزاوية الشرقية الجنوبية من المبنى، وهي ذات قاعدة مربعة ارتفاعها 17.50 مترا ويتكون سلمها من 64 درجة، وهي مقسمة بخمس أطناف تتخللها خمسة أقسام مكونة لبدنها، القسم السفلي منها، خالي من أي عنصر تزييني، أما القسم الثاني فهو مزين بعقدين مفصصين يحتويان بداخلهما على مزغلين مستطيلي الفتحة، والقسم الثالث يحتوي على عقدين آخرين مفصصين، يختلفان عن الشكل المذكور، وتحتوي بداخلها على نوافذ صغيرة، والقسم الرابع لا يتميز بأي عنصر، أما القسم الخامس والأخير من البدن، فهو مزين بثلاثة عقود مفصصة أيضا، إلا أنها تختلف في شكل فصوصها عن العقود السابقة، وينتهي البدن بشرفات مدرجة واحدة ضلعية وأخرى ركنية، أما رأس المئذنة فهو يتكون من جوسق مربع على غرار شكل البدن، وينتهي هو أيضا بشرفات مدرجة وتعلوه قبيبة تنتهي بتفاحات ثلاث مثلما هو معروف في نظام المآذن الإسلامية.

2. <u>نماذج من المآذن المثمنة</u> : منها مئذنة جامع صفر بمدينة الجزائر، ومئذنة جامع عين البيضاء بمدينة معسكر، ومئذنة جامع سيدي لخضر بمدينة قسنطينة، ومئذنة جامع الباشا بمدينة وهران (**شكل** 2).

- **مئذنة جامع صفر بمدينة الجزائر : (لوحة 2 / صورة 1)**

يقع جامع صفر بن عبد الله عند التقاء شارعي الإخوة باشارة وروان عبد الحميد، وبذلك فواجهته الرئيسية تطل على الشارع الأول

والواجهة الشمالية تطل على الشارع الثاني، وشرع في تشييد الجامع في رجب عام 940هـ / يناير 1534م من أموال تطوع بها أحد المسيحيين الذين اعتنقوا الإسلام وكان عبدا لدى الحاكم خير الدين بربروس، وأصبح يسمى بالقائد صفر بن عبد الله، واستغرقت أشغال البناء مدة تسعة أشهر، وهذا حسب الكتابة الأثرية المثبتة أعلى المدخل الرئيسي للجامع[31] وتم الانتهاء من بنائه في 2 ربيع الأول من عام 941هـ / 15 سبتمبر 1534م[32] وقام الداي حسين باشا بإعادة بناء هذا الجامع وذلك عام 1242هـ / 1826 - 1827م وهذا حسب ما ورد بكتابة أثرية أخرى مثبتة بجانب الكتابة الأولى[33].

- **وصف المئذنة**

هي من النوع المضلع البدن ارتفاعها 16.75 مترا، وهي تحتوي على فتحات صغيرة تشبه فتحات المقاذف بالأبراج وينتهي البدن بشرفات هرمية الرأس، ويفصل هذا الجزء عن باقي البدن صف من القرميد الأخضر، أما القسم الثاني من المئذنة والمتمثل في الجوسق فهو مقسم بدوره إلى ثلاثة أجزاء الأول منها مكعب بقاعدة مربعة أما الجزء الذي يليه فهو اسطواني يعلوه جزء أخير مخروطي الشكل تعلوه التفاحات الثلاث.

- **مئذنة جامع سيدي لخضر بمدينة قسنطينة : (لوحة 2 / صورة 2)**

يقع جامع سيدي لخضر بالناحية الشمالية الشرقية أسفل القصبة، وعلى ممر مدخل باب القنطرة في الحي الذي سمي باسم سيدي لخضر بالقرب من رحبة الصوف، وبني الجامع سنة 1156هـ

الموافق لسنة1743 م حسب ما ورد ضمن كتابتين أثريتين مثبتتين ببيت الصلاة.

- **وصف المئذنة**

تقع هذه المئذنة بالزاوية الشمالية الغربية من المبنى، وهي من النوع الثماني الأضلاع، زين كل ضلع من أضلاع البدن بعقد نصف دائري حفر حفرا غائرا، ويعلو هذه العقود صفوف من البلاطات الخزفية وينتهي البدن بشرفة محمولة على كوابيل تفصل بين مجموعة عقود نصف دائرية أيضا، ويتكون الرأس من جوسق مثمن على غرار تثمينة البدن، ويتخلل هذا الأخير فتحات على هيئة مزاغل مستطيلة الفتحات.

- **مئذنة جامع عين البيضاء بمدينة معسكر : (لوحة 2 / صورة 3)**

يقع جامع عين البيضاء وسط مدينة معسكر وهو على بعد 300 مترا من السور الشرقي لها وهو يعرف باسم جامع عين البيضاء بسبب وجود عين كانت موجودة أسفل السور المذكور وكان لونها يميل إلى الأبيض[34].

وسجل تاريخ بناء جامع العين البيضاء على كتابة أثرية من الجص تحيط بالمحراب وكتب نصها بالخط المغربي، وتشير إلى أن البناء كان في أول يوم ذي القعدة عام 1195هـ الموافق لسنة 1780م[35].

- وصف المئذنة

تقع مئذنة جامع عين البيضاء بالزاوية الشرقية الجنوبية من بيت الصلاة، ارتفاعها 20.40 مترا وهي بقاعدة مربعة وبدن ثماني الأضلاع، ويبلغ عدد درجات سلمها 62 درجة، تنتهي قاعدتها ببروزات ركنية، أما البدن فهو بسيط ولا يتميز بأي زخارف، وينتهي البدن بدرابزين بسيط مثمن أيضا، أما رأس المئذنة فهو يتكون من جوسق ثماني الأضلاع، تعلوه قبيبة مثمنة وتنتهي بتفاحات وهلال.

- **مئذنة جامع الباشا بمدينة وهران : (لوحة 2 / صورة 4)**

يقع هذا الجامع قرب القصر الأحمر الذي أسس في العصر الوسيط من طرف تجار البندقية وجدده أبو الحسن المريني عام 1331م[36]، وهو محصور بين شارعي بن عمارة وبوتخيل وقريب من بلدية وهران. بني سنة 1792م من طرف حاكم الجزائر حسن باشا وهذا حسب ما تشير إليه كتابة أثرية محفوظة بمتحف وهران.

- وصف المئذنة

تحتل مئذنة جامع الباشا الزاوية الشرقية الجنوبية لبيت الصلاة وهي منفصلة عن المسجد، ومبنية من الحجر المصقول، ارتفاعها 32 مترا، وتنقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسية هي : القاعدة المثمنة والبدن المثمن أيضا والرأس المتمثل في الجوسق الذي أخذ نفس الشكل المثمن، وينقسم البدن بدوره إلى أربعة أجزاء تحتوي كل منها على مجموعة من العقود النصف الدائرية المفصصة بحيث يشغل

كل عقد ضلعا من أضلاع البدن. ويفصل بين كل مجموعة والأخرى صف من البلاطات الخزفية المتناوبة الألوان بين الأبيض والأخضر.

3. **نماذج من المآذن المخروطية أو الرمحية** : نجدها بجامع سيدي الكتاني بمدينة قسنطينة، وجامع الباي بمدينة عنابة (**شكل** 3).

▪ **مئذنة جامع سيدي الكتاني بمدينة قسنطينة : (لوحة** 3 / **صورة** 1)

يقع جامع سيدي الكتاني في نهاية شارع كرامان بساحة سوق العصر، وتشير كتابة أثرية مثبتة فوق باب من أبواب الجامع إلى تاريخ بنائه الذي تم سنة 1190 هـ الموافق لسنة 1776م.

- **وصف المئذنة**

تقع مئذنة جامع سيدي الكتاني في الزاوية الشمالية الشرقية، وهي من النوع الأسطواني البدن وزين هذا الأخير بمساحات معقودة حفرت حفرا غائرا، وينتهي البدن بشرفة دائرية، بدرابزين مخرم، محمولة على كوابيل صغيرة معقودة، ورأس المئذنة رمحي الشكل ويذكرنا برؤوس المآذن العثمانية التي تشبه رؤوس أقلام الرصاص المبرية، كما زين البدن بمزاغل مستطيلة الفتحات.

▪ **مئذنة جامع الباي بمدينة عنابة : (لوحة** 3 / **صورة** 2)

يقع جامع الباي بعنابة في وسط الساحة المعروفة اليوم باسم ساحة 19 أوت 1956 وهي تقع بدورها في قلب المدينة، وأطلق على هذا الجامع اسم جامع الباي نسبة إلى الحاكم صالح باي، وهو المؤسس

له حسب الكتابة المثبتة أعلى المدخل الذي بالواجهة المطلة على شارع القاضي، وكان ذلك سنة 1206 الموافق لسنة 1792. [37]

- وصف المئذنة

تحتل مئذنة جامع الباي بعنابة الزاوية الشمالية الغربية من المسجد، يبلغ ارتفاعها حوالي 16 مترا ويتكون سلمها من 59 درجة، وهي تقوم على قاعدة مضلعة من النوع الخارجي، ، أما بدنها فهو من النوع الأسطواني وتتخلله بعض الفتحات على غرار المآذن عموما، ويحيط بالبدن في الجزء العلوي شرفة ويعلوها جوسق ينتهي بقبيبة مخروطية الشكل مما يجعل هذه المئذنة شديدة الشبه بالمآذن العثمانية المعروفة برؤوسها التي تشبه رؤوس أقلام الرصاص أو الرمحية الشكل، أما باب المئذنة فاتخذت فتحته شكل العقد النصف الدائري، ونفس الشكل تتخذه فتحة باب الجوسق.

الخاتمة

وفي نهاية هذا العرض يمكننا القول بأن عمائر الجزائر في العهد العثماني كانت تتميز بثلاثة أنماط من المآذن وهي : المربعة والمثمنة والمخروطية أو الرمحية، ولكل نمط منها بعض المميزات الفنية التي تفرق المئذنة عن الأخرى والتي تراوحت بين زخرفة بالبلاطات الخزفية أو الزخرفة بنفس مادة البناء واختلاف أنواع الشرفات وطريقة توزيع الكوات وكل هذا يدخل ضمن مكونات الطراز لهذه المآذن وللمباني بصفة عامة.

الصورة (1): مئذنة الجامع الجديد

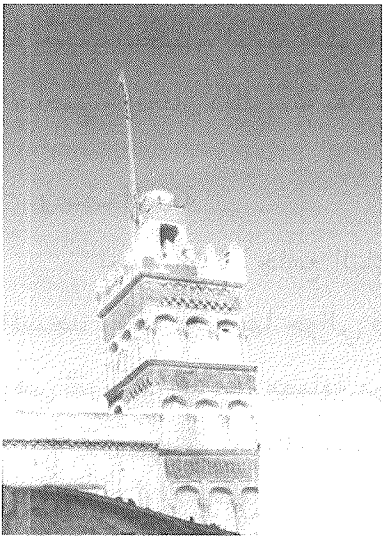

الصورة (2): مئذنة ضريح
سيدي عبد الرحمان

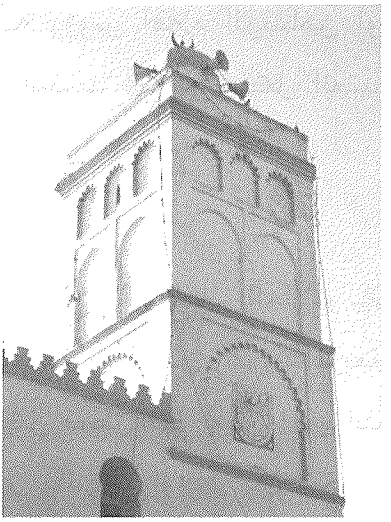

الصورة (3): مئذنة الجامع
الكبير بمعسكر

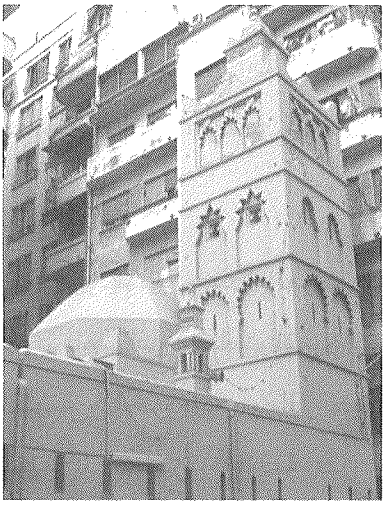

الصورة (4): مئذنة مدرسة
خنق النطاح بوهران

لوحة (1) : المآذن المربعة

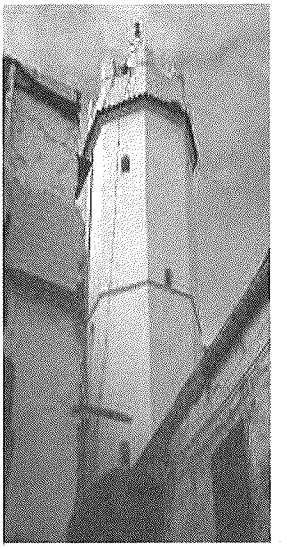

الصورة (1) : مئذنة جامع صفر بمدينة الجزائر

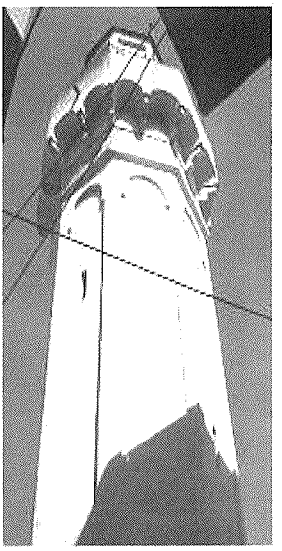

الصورة (2) : مئذنة جامع سيدي لخضر بقسنطينة

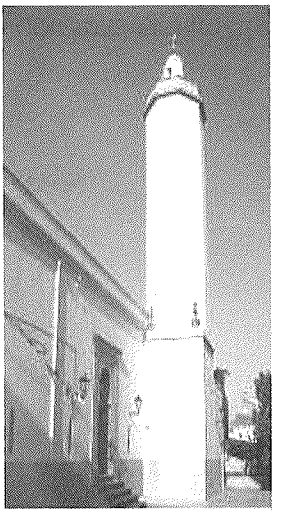

الصورة (3) : مئذنة جامع عين البيضاء بمعسكر

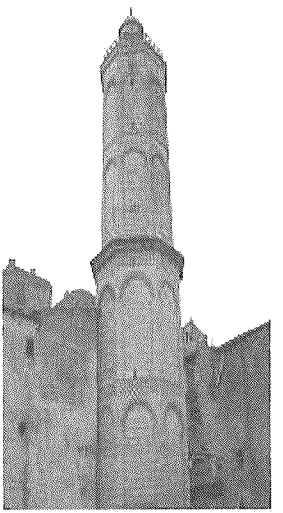

الصورة (4) : مئذنة جامع سيدي لخضر بقسنطينة

لوحة (2) : المآذن المثمنة

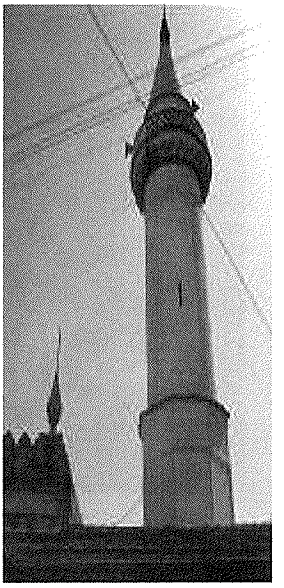

الصورة (1) : مئذنة جامع سيدي الكتاني بقسنطينة

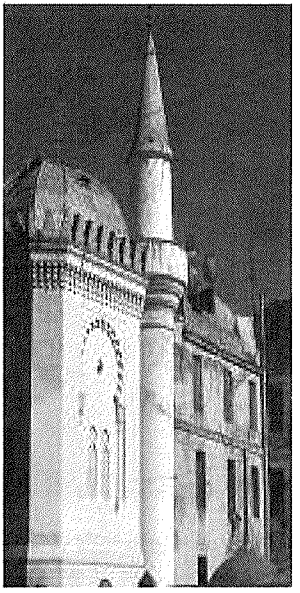

صورة (2) : مئذنة جامع الباي بعنابة

لوحة (3) : المآذن المخروطية

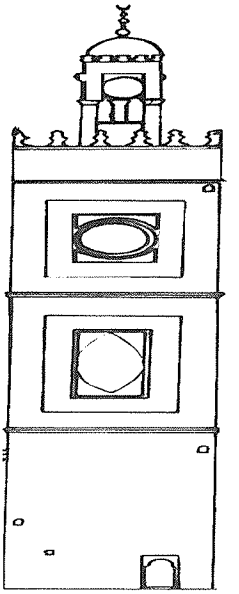

(1): مئذنة الجامع الجديد

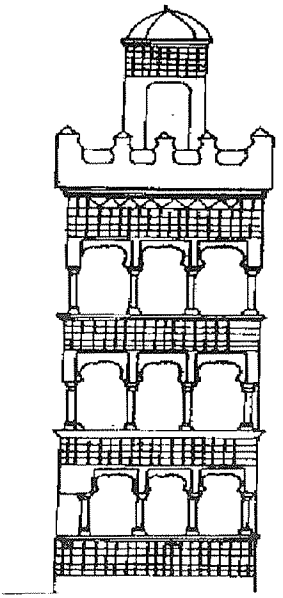

(2): مئذنة ضريح سيدي عبد الرحمان

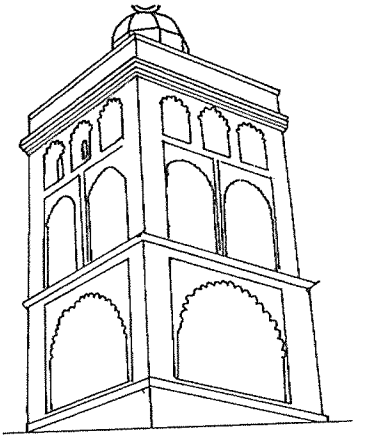

(3): مئذنة الجامع الكبير بمعسكر

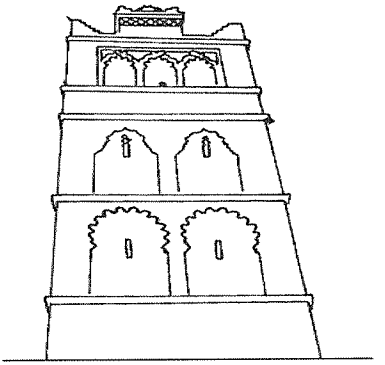

(4): مئذنة مدرسة خنق النطاح بوهران

شكل 1 / المآذن المربعة

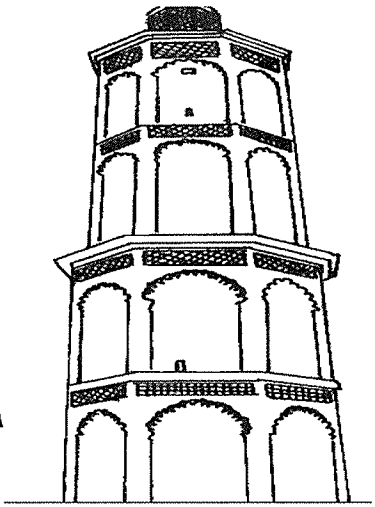

(1): مئذنة جامع صفر

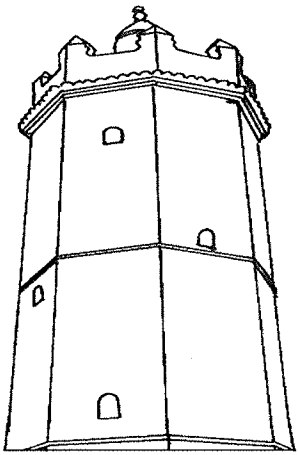

(2): مئذنة جامع سيدي لخضر

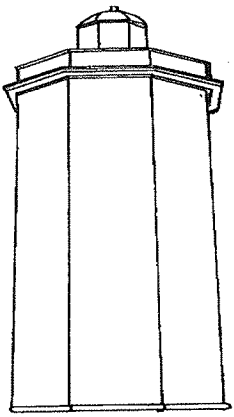

(3): مئذنة جامع عين البيضاء بمعسكر

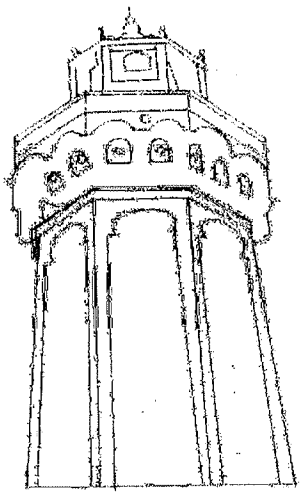

(4): مئذنة جامع الباشا بوهران

شكل 2 / المآذن المثمنة

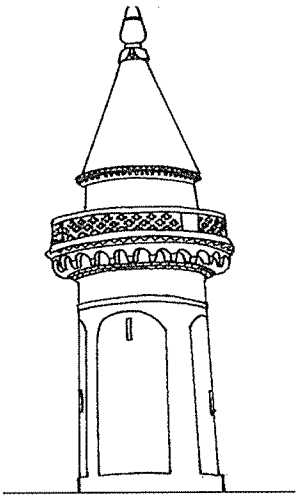

(**1**): مئذنة جامع سيدي الكتاني بقسنطينة

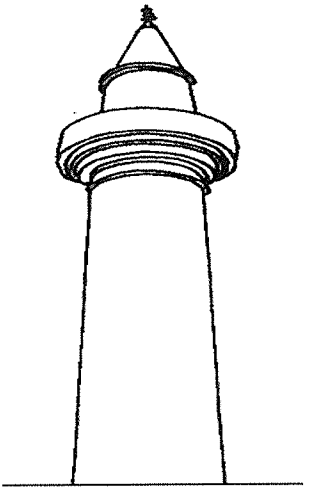

(**2**): مئذنة جامع الباي بعنابة

شكل 3 / المآذن المخروطية

الهوامش :

(1) عبد العزيز سالم، المآذن المصرية – نظرة عامة عن أصلها وتطورها منذ الفتح العربي حتى نهاية الفتح العثماني، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية، ص4 - 6.

(2) الشيخ طه الولي، المساجد في الإسلام، دار العلم للملايين، ص242.

(3) مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية، أسس التصميم المعماري والتخطيط الحضري في العصور الإسلامية، ص 448.

(4) نفسه، ص 448.

(5) المعهد العربي لإنماء المدن، المساجد في المدن العربية، توطئة لموسوعة المساجد : أنواعها، وخدماتها، وعناصرها المعمارية، ومعاييرها التخطيطية، الرياض، 1410 هـ / 1990م، ص207، 208.

(6) نفسه، ص208.

(7) سعاد ماهر، مساجد في السيرة النبوية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1987، ص88.

(8) فريد شافعي، العمارة العربية في مصر الإسلامية، المجلد الأول : عصر الولاة 358هـ / 639 - 969م، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1970، ص635، 637.

(9) مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية، مركز إحياء تراث العمارة الإسلامية، أسس التصميم المعماري والتخطيط الحضري في العصور الإسلامية المختلفة بالعاصمة القاهرة منظمة العواصم والمدن الإسلامية، 1411 هـ / 1990م، ص448.

(10) أحمد عبد المعطي الجلالي، عمارة المسجد وتطورها في العالم الإسلامي، دار الكتب القومية، القاهرة، 1990، ص251.

(11) زكي محمد حسن، فنون الإسلام، دار الرائد العربي، بيروت، 1981، ص35.

(12) أحمد عبد المعطي الجلالي، المرجع السابق، ص251، 252.

(13) فريد شافعي، المرجع السابق، ص640، 641.

(14) نفسه، ص641، 642.

(15) أحمد عبد المعطي الجلالي، المرجع السابق، ص253.

(16) نفسه، ص253، 254.

(17) نفسه، ص254.

(18) زكي محمد حسن، المرجع السابق، ص149.

(19) نفسه، ص149.

(20) ثروت عكاشة، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، الطبعة الأولى، دار الشروق، القاهرة - بيروت، 1414 هـ / 1994م ص128.

(21) أحمد عبد المعطي الجلالي، المرجع السابق، ص254.

(22) زكي محمد حسن، المرجع السابق، ص150.

(23) قتيبة الشهابي، زخارف العمارة الإسلامية في دمشق، منشورات وزارة الثقافة دمشق، 1996، ص295، 296.

(24) غازي رجب، وظيفة العمارة العربية الإسلامية : استجابة الشكل إلى المضمون الفن العربي الإسلامي، الجزء الأول المداخل، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تونس، 1994، ، ص128.

(25) عبد الرحيم غالب، موسوعة العمارة الإسلامية، الطبعة الأولى، جروس برس بيروت، 1408 هـ/ 1988م ص336.

(26) نور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر، من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، نشر كلية الآداب الجزائرية، مطبعة البعث، قسنطينة، 1965، ص155.

(27) Klein(H) Feuillets d'El-Djezair, L.Chaix Editeur, Alger, 1937, p.153.

(28) نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص156.

(29) Marçais (G) ; « Sidi Abderrahman, Patron d'Alger » Mélanges d'histoire et d'archeologie de l'occident musulman, T.I, Articles et conférences, Imprimerie officielle, Alger, 1957, p.198.

(30)Devoulx (A) ; Les Edifices religieux de l'ancien Alger, p.38.

(31) Ibid , p.240, 241.

(32) رشيد بورويبة، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، ترجمة : ابراهيم شبوح، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1399 هـ 1979م، ص112.

(33) Devoulx (A) ; Op.Cit, p. 244, 245.

(34) L'Algerie, promenades pittoresques, Louis Janet, Libraire Editeur, Paris, 1840p.148

(35) Leclerc (Ch) ;« Les inscriptions de Mascara » IN. Revue Africaine, 1859-1860 pp.42-46.

(63) يحي بوعزيز، وهران، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1985، ص134.

(37) Papier (A) ; « La mosquée de Bone », IN. Revue Africaine, 1889- 1890.